

الفصل الأول /التنظيم السياسي

مرت الدعوة العباسية بثلاث ادوار رئيسة هي:-

أولاً/ دور الدعوة :-

يبدأ هذا الدور في مستهل القرن الثاني للهجرة ، وينتهي بانضمام أبي مسلم الخراساني إلى الدعوة ويغطي المدة الزمنية بين عامي(98- 128هـ) أو (100-128هـ).

قامت الدولة العباسية على أثر دعاية واسعة النطاق دامت حوالي ثلث قرن تقريباً، فضمت إلى صفوفها كل المعارضين للأمويين، وأول دعاية قامت في الدولة الإسلامية هي الدعاية العباسية التي نظمت تنظيمياً دقيقاً تحت شعار ((الرضى من آل محمد"ص")) وتمكنت في النهاية من أن تؤدي الغرض المقصود منها وهو إسقاط الدولة الأموية وإقامة الدولة العباسية، أما تسميتها بالدعاية العباسية فجاءت نسبة إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول محمد(ص)جد هذه الأسرة العباسية التي أسهمت بدور كبير في التاريخ الإسلامي.

والعباس عم النبي(ص) لم يكن ذا سابقة في الإسلام، فقد اسلم عام الفتح الا أنه كان حاضراً في بيعة العقبة الثانية، وعندما توفي النبي (ص) لم يكن له رغبة في الخلافة فتشير الروايات إلى انه قال للإمام علي (ع) ((يا ابن أخي ابسط يدك لي ابايعك)) وهذا يدل دلالة قاطعة على انه لم يكن له أي رغبة في الخلافة وقد توفي العباس(رض) في خلافة عثمان بن عفان عام 34هـ وأعقب أولاداً كثيرين منهم ابنه الثاني عبد الله الذي جاء من نسله البيت العباسي وكان ذا شخصية علمية رفيعة معروفاً لدى المحدثين والأدباء واللغويين فقد كان مفسراً للقرآن لهذا أطلق عليه (حبر الأمة وترجمان القرآن).

ولم يكن لعبد الله(رض)أي رغبة في الخلافة ووقف إلى جانب الإمام علي(ع) عند توليه الخلافة فولاه البصرة وأعمالها، وعند قيام الدولة الأموية رحل إلى الحجاز حيث أقام بالطائف مسالماً للأمويين إلى أن توفي في خلافة عبد الملك بن مروان سنة 68هـ وقد أنجب عبد الله ولداً اسماه علياً لأنه ولد في نفس الليلة التي استشهد فيها الإمام علي(ع) سنة 40 هـ .

كان علي بن عبد الله شخصية غامضة غير واضحة كوضوح شخصية أبيه ولكن الأمويين قد استدعوه إلى الشام أيام الخليفة عبد الملك بن مروان، واقطعوه قرية في(البلقاء) شرق الأردن ،اسمها(الحميمة)، وهذا هدفه سياسي بحت لان الأمويين بهذا التصرف قد جعلوا الناس الذين يشكون بولائهم ويتوجسون من نواياهم تحت رقابتهم وإشرافهم في الشام، وظل علي في الحميمة حتى وفاته سنة 118هـ وقد أنجب ولداً اسماه محمد، ويعد محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الشخصية القوية والعباسي الحقيقي الذي أظهر طموحاً ورغبة نحو الخلافة وسعى سعياً سرياً منظماً لغرض نيلها .

وبعد أن استتب الأمر لمحمد بن علي دعا أتباعه الجدد إلى التعاون وأخذ الحيطة والحذر في التنظيم السياسي والتبصر للمكروه، ثم جاءه سلمة بن بجير من دمشق فتعاهد مع محمد بن علي على التعاون، وذكر له وجود أتباع آخرين في الكوفة قائلاً له: ((إني غرست لكم غرساً لا تختلف ثمرته ،استجاب لي عدد من رهطي و أهلي وجيرتي ، وخطائي ليسوا من ترى في محبتكم والمناصحة لكم، ونحن نشخص في أمرك ، وقد رأيت أن تثبت أسمائهم لتعرفهم وتستظهر بهم على أمرك)).

ثم أملى أسمائهم فكان هذا السجل الذي حوى أسماء أتباع العباسيين، وكان عدد الأتباع تسعة أو ثلاثة عشر على اختلاف الروايات – من بينهم بكير بن ماهان وأبو سلمة الخلال ، وموسى بن سريج السراج ، وزبيد بن درهم.

تاريخ الدولة الإسلامية في العصر العباسي / الدكتور اثير عبد الكريم صادق

وقد حرص العباسيون على إخفاء رغبتهم بالخلافة، فلم تكن البيعة تأخذ باسم العباسيين بل تحت شعار (الرضى من آل محمد"ص") وسموا أنفسهم بالهاشميين وهي كلمة عامة بمدلولها، فقد تنسب إلى الشيعة الكيسانية التي اندمجت في فرق شيعية أخرى واتخذت اسم الهاشمية، أو قد تنسب للإمام أبي هاشم بن محمد بن الحنفية أو لهاشم بن عبد مناف جد جميع العلويين والعباسيين، فالمهم أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس هو العباسي الحقيقي الذي سعى لنيل الخلافة ومن مقره بالحميمة اخذ يدير التنظيم السياسي أو الدعاية بشكل سري ودقيق ويرسل الدعاة والنقباء إلى مختلف الجهات، وقد اقتصر الدعوة في بادئ الأمر على الكوفة حتى سنة 100هـ ولم يتجاوز عدد المنضمين للتنظيم السياسي الثلاثين فرداً".

وقد تبين للدعاة أن الكوفة ليست بالمكان المناسب لنشر الدعاية للعباسيين لقربها من دمشق مركز الخلافة الأموية، وقد ناقش الدعاة الوضع سنة 99-100هـ واتفقوا على اقتراح جديد لنشر الدعاية العباسية فقسم اقتراح أن تكون بلاد الشام مسرحاً لنشر التنظيم السياسي للعباسيين، أما بكير بن ماهان فقد أكد على منطقة خراسان وفي سنة 100-101هـ أرسل الدعاة بكير بن ماهان إلى محمد بن علي ليسلم له 190 دينار جمعها الأتباع في الكوفة، ثم ليسترشدوا برأي الإمام بعد وفاة ميسرة النبال.

ويعد بكير بن ماهان من الدعاة والشخصيات المهمة والبارزة الذي كان له دور كبير في قيام الدعوة العباسية وخدمتها، فقد كان له أخ في بلاد السند وقد توفي وترك ثروة كبيرة، فورثها عنه فاستطاع بكير بفضل ثورته وغناه أن ينفق على الدعوة ويدعم أركانها، وقد توجه بكير إلى الحميمة مقر الإمام محمد واتصل به وعرض عليه وجهة نظره في نشر التنظيم العباسي في خراسان وان المجال هناك مفتوح لنشرها مع وجود الإمكانيات المتعددة لنجاحها هناك، فوافق محمد بن علي وسمح لبكير أن يذهب إلى السند في حاجته (إذ كان أخيه يسكن في بلاد السند، فذهب ليأخذ منه ماورثه منه بعد وفاته)، وان يختبر الوضع في المشرق في طريقه، فعاد بكير إلى الكوفة، ونقل إلى الدعاة تعليمات الإمام ثم سافر إلى خراسان في طريقه إلى السند وأمضى شهراً في جرجان وشهرين في مرو محاولاً أن ينشر التنظيم السياسي وقد نجح في ذلك وحصل على بعض الأتباع البارزين أغلبهم من العرب في سنة 101هـ ومنهم (سليمان بن كثير الخزاعي، يزيد بن النهيد، ابو عبيدة بن زريق).

ولما كان سليمان بن كثير الخزاعي من وجوه قبيلة خزاعة في خراسان وأعيانها من الذين كان لهم مركز الثقل في القبيلة فقد استطاع أن يكسب إلى صفوف التنظيم السياسي عدد من الأتباع منهم: (مالك بن الهيثم، عمرو بن أعين، زياد بن صالح، طلحة بن زريق، خالد بن إبراهيم)، وهؤلاء بدورهم اخذوا يكسبون الناس إلى جانب العباسيين ونتيجة لهذه الجهود فقد أرسل محمد بن علي سنة 102هـ أبا عكرمة زياد بن درهم للاتصال بالأشخاص الذين استمالهم بكير لغرض الاستمرار بالدعاية وقال له: ((انه حرام عليكم ان تشهروا سيفاً على عدوكم، كفوا أيديكم حتى يؤذن لكم)) لهذا فقد سمي أنصار العباسيين بـ(الكفية)(الحياد أو المسالمة) حتى إعلان الثورة العباسية في خراسان .

ويبدو أن الدعاة العباسيين قد التزموا بتوصيات الإمام العباسي محمد بن علي إذ أكد بتوصياته على أهمية منطقة خراسان لتكون مسرحاً للتنظيم السياسي للعباسيين فقال لهم: ((عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر... وهم جند لهم ابدان وأجسام... وبعد فاني اتفائل إلى المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصباح هذا الخلق)).

وهنا لا بد من التأكيد على بدء الدعاية العباسية، إذ أن الكثير يضطربون في تحديد بدء الدعاية ويتحدثون عنها في خراسان ويهملون الفترة الأولى في الكوفة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن كون الدعاية تامة السرية قد أضفى عليها الكثير من الكتمان وعدم الوضوح على أخبارها الأولى لهذا فالمصادر التاريخية لا تذكر إلا اليسير عنها قبل سنة 100هـ وما تذكره لا يعطي صورة واضحة لسير ونشاط الدعاة إلا ما كان بارزاً من أحداث ولم يكن من مصلحة العباسيين كشف الستار عن تنظيمهم وعن

تاريخ الدولة الإسلامية في العصر العباسي / الدكتور اثير عبد الكريم صادق

سير رجالهم ودعاتهم المشرفين على التنظيم في المدة الأولى من تنظيمهم التي لم تتضح فيها الملامح العامة لهم أو الإفصاح عن دولتهم .

وتشير المصادر أن محمد بن علي وجه عدداً من الدعاة ومن بينهم عمار العبادي فوشي بهم رجل من كندة إلى والي الأموي أسد بن عبد الله القسري ثم استطاع عمار الهرب فقتل أسد أصحابه ثم قبض عليه أسد سنة 108 فقتله.

وكان الدعاة يبلغون أخبارهم إلى مسؤول التنظيم في الكوفة وهذا بدوره يبلغها إلى الإمام محمد بن علي في الحميمة، والسبب في اهتمام العباسيين بمدينة الكوفة واتخاذها مركزاً لدعايتهم ومقراً لكبير دعائهم هو مركزها المهم في طرق المواصلات وقد كان الدعاة في بعض الأحيان يكتشف أمرهم فيعذبون أو يقتلون لاسيما في ولاية أسد بن عبد الله القسري فقد لقي الدعاة العباسيين على يده محنة كبيرة ولم تتقدم دعوتهم إلا بعد وفاته سنة 120هـ.

وفي هذه الإثناء أمر الإمام محمد بن علي بالاهتمام بالتنظيم السياسي في خراسان اهتماماً دقيقاً" فرضته ظروف التنظيم فيجب في هذه الحالة الاهتمام بالتدقيق فيمن ينضم إليه خوفاً من الوشاية والحدز من أن يدخله ذوو الأطماع الشخصية، كل هذا من أجل الحفاظ على سرية الدعوة وقد اقترح تعيين اثنا عشر نقيباً للإشراف على الدعاية والتأكد من كل فرد ينتمي إليها، وكان هؤلاء النقباء لمدينة مرو، وهذا يدل دلالة أكيدة على أهمية هذه المدينة في التنظيم، أما سائر الكور فكل داعية لها هو نفسه النقيب وله أن يختار أمناء لنفسه من أهلها، كما تم تعيين نظراء النقباء أو نوابهم لكي يخلفونهم في حالة حدوث أمر ما بالنسبة لهم.

ويبدو أن الاثني عشر نقيباً كونوا مجلساً مركزياً للإشراف على أمور التنظيم السياسي، وكان سليمان بن كثير من الشخصيات البارزة في مرو ممثلاً أولاً ورئيساً للتنظيم ثانياً في مرو، وقد كان لهذا التنظيم أثر كبير في تقوية مركز التنظيم والإسراع به نحو النجاح وفي سنة 125هـ توفي محمد بن علي بالحميمة فخلفه ابنه إبراهيم الذي عرف بإبراهيم الإمام فيما بعد .